الحلقة الثالثة

حصاد الجولات لعام ١٤٠٢هـ

اسماعيل بن سعد بن عتيق

إلى الهند..
وبالتحديد إلى شمال الهند

من دهلى أو دلى او نيودلى كان المنطلق لمدينتي العلم، مدينة لكنو التى عرفت واشتهرت بندوة العلماء، وشخصية العالم الكبير ابى الحسن على الحسنى الندوى، ومدينة ديوبند التى عرفت بجامعتها الشهيرة، ازهر الهند، جامعة ديوبند دار العلوم.

والحديث عن دهلى لم يستجد فيه جديد بالنسبة لى، فقد تكررت زيارتى لها منذ عام ١٣٨٣هـ، فهى عاصمة الهند وقاعدة الشمال المجاورة لمنطقة البنجاب مما يلى حدود الباكستان، والجديد فى زيارتى لدهلى لقائى بعدد من الأخوة العاملين على انفراد، او مما يجعل الحديث معهم ذا شجون وبلا تكلف او تحفظ.

اولا : مع الجماعة الاسلامية الأميران السابق محمد يوسف، واللاحق ابو الليل الصلاحى، وعلى مادبة الافطار فى اليوم الثانى من شهر رمضان ١٤٠٢هـ يتحدثان بكل وضوح عن سير الجماعة الاسلامية فى الهند والمتمثل فى النشر والاعلام والتعليم والخدمات الصحية والاجتماعية، ثم التعرج على السياسة، وكان العالم امام المراة العاكسة للاحداث، فيتناولون منها ما شاؤا بالنقد والملاحظة او الرد او الموافقة.

ماشاء الله.. كان شيوخ فى اعمار الستين الى السبعين يتحدثون عن كل جديد فى العالم وليته جديد فقط، ولكنه جديد ملتوى انها السياسة القاتلة للوقت والعمر ولكنها شىء لابد منه، سالت عن حزب المؤتمر الهندى الحاكم، فقلت اتصور انه اقرب الأحزاب الى الاسلام او الولاء للمسلمين، لانه من مؤسسات علماء المسلمين كالعلامة ابو الكلام ازاد، فقالا صحيح ومع هذا فهو يدس للاسلام ويكيد له، ونحن لانامن مكر السياسة ولا ننخدع بالماضى، فقلت انكم تتهمون جمعية العلماء بالعمالة لهذا الحزب، فقالا شىء من ذلك ولا نشهد الا بما علمنا ورئيس الجمعية وهو عضو فى البرلمان الهندى، فقلت عن جمعية اهل الحديث ارى كثيرا من الشبان يلهجون بالثناء على الجماعة واعمالها، فقالا الحمد لله ذلك من فضل الله، فقلت لم لاتجعلون فرعا فى الجماعة يهتم بالناحية العقائدية ويروى غليل جمعية اهل الحديث وتكونوا جماعة واحدة؟. قالا ذلك مانتمنى.. بدانا فى هذا المشروع ولكن لم نوفق فى دمج الأسماء.. والحديث طويل وشيق وممتع فى نفس الوقت اذ كان فى جو من الصفاء والهدوء النفسى وتنزل السكينة قبل الافطار وبعده.

ثانيا : مع جمعية العلماء ورئيسها الشيخ اسعد مدنى، التقيت به فى لكنو وفى دهلى وفى ديوبند.. قابلنى فى لكنو وقال لى معذرة تاخرت عن الموعد ساعة ونصف ساعة، سافرت من بمباى الى دهلى وصليت الفجر وبعد الصلاة اخذت القطار الى لكنو وفى هذه الساعة وصلت من دهلى لاتحدث معكم ساعتين واسافر الى دهلى ثم ديوبند.. شكرت له اهتمامه وتحمله الصعاب من اجل هذا اللقاء.

اهدى الى كتيبا يشرح اعمال الجمعية وقال معذرة ياشيخ نحن همزة الوصل بين حكومة كافرة وبين شعوب المسلمين فى هذه البلدة نرعى مساجدنا واوقافها والمدارس ومصالح المسلمين، لاشك ان بعض اخواننا يحملوننا مسئولية كل شىء يصدر من الدولة ضد الاسلام، ولكننا لانملك كل شىء ولو كنا كذلك لكنا دولة فى وسط دولة، وكانت الخلافة الراشدة ولكن كما قيل بعض الشر اهون من بعضه.

نشرت في مجلة الدعوة العدد ١٨٨٥ في ١٩/٣/١٤٠٣هـ ص (٤٠-٤١)

عرفت من الشيخ اسعد مدنى حب الزعامة او حب الزعامة له فهو بيت زعامة بالطبع فوالده كان من اشهر العلماء وممن لهم دور فى السياسة والوطنية والاصلاح وكذا اسرته لهم دور ايجابى ضد الاستعمار الغربى.. اقول هذا حتى لاترجح كفة الناقد كثيرا لجبهة اسلامية ودعامة قوية تعمل للاسلام والمسلمين.

ثالثا : جمعية اهل الحديث نشات فى دهلى وجعلوا من وسائل تقويتها الحديث عن الماضى، يتشبثون بالحديث عن الشاه ولى الله الدهلوى والشهيد اسماعيل وسيد نذير حسين وصديق حسن خان، درجوا على هذا حتى الساعة وعليهم ينطبق قول الشاعر:

الهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمر بن كلثوم
يفاخرون بها قد كان اولهم
يالرجال لشعر غير مسؤوم

معذرة لاخواننا فى الحديث فاننى اطالبهم باكثر من ذلك واشد عليهم الوطئة فى الملاحظة والنقد فمشربنا واحد وكلنا ذلك الرجل مما جعل شبابهم يميلون الى الجماعة الاسلامية ويعجبون بتنظيمهم وانتاجهم.. زرت مركزهم فى دهلى القديمة كلفهم شراؤه مليون روبية اشتروه بالقرض حتى يجمعوا له، لا استرسل فى النقد ولكن اقول.

وقد نشطت مراكز التعليم فيهم لقيام جامعة بنارس الاسلامية والجامعة المحمدية فى منطقة بمباى ودار السلام فى مدراس والجامعة الاحمدية فى بهار، وعملوا على احياء التراث الاسلامى فى الحديث والتفسير وعلم العقائد، وهم خير مثال يحتذى فى النزاهة وصحة العقيدة والسلامة من دسائس السياسة وتلوث الافكار.

ومن دهلى الى لكنو، هناك نلتقى بالعالم الاشم الذى يستوى عنده المدح والذم الشيخ على ميا المشهور بابى الحسن الحسنى الندوى، لكم تمنيت هذا اللقاء على انفراد ليخصنى بدعائه وتوجيهاته، كنت طبعت له رسالة (بين الصورة والحقيقة) عام ١٣٨٣هـ كدت احفظها عن ظهر قلب واتصور معانيها ثم تتلمذت على كتبه ذات الروح والطابع الايمانى الحى،قابلنى مقابلة الاخ لاخيه واجلسنى بجواره فقلت رايتك فى المملكة كانك شيخ كبير اما اليوم فقد رايتك شابا يافعا ما شاء الله، فقال ذلك للتواضع، اجريت معه حوارا فى يومين اقمت ضيفا على سماحته كان منها ماهو رسمى لايحق لى التصريح به، ولكن الذى اقوله: ان ندوة العلماء اعطت نماذج للعالم الاسلامى فى صورة المؤمن الحى الواعى فلا يجهل حضارة الغرب، ولا ينكر شيئا من تعاليم دينه وقيمه بل ولا من تقاليده وعاداته المنسجمة مع دينه وطبيعته، لقد جمعت بين طرفى نقيض المدرسة العربية القديمة كجامعة ديوبند وسهاراتفور والجامعات الوطنية العلمانية، لقد قامت الجامعة الاسلامية فى عليكرة والجامعة الملكية فى دهلى والجامعة العثمانية فى حيدر اباد وحاولت ان تسد هذه الفجوة بين المدارس التعليميةالقديمة والمدارس العصرية الحديثة، ولكنها لم تفلح كما افلحت ندوة العلماء، بها الفا طالب على المراحل الدراسية حتى ما بعد الجامعة.

حدثنى ابو الحسن قال فى مدينة لكنو تمركز الشيعة ولهم آثارهم الباقية فى المساجد والقلاع ولكن الله اخمد شعلتهم ودق شوكتهم واهل السنة يظهرون عليهم وبوجود ندوة العلماء فى لكنو كان علما ظاهرا زارهم قبل بضعة ايام حاكم الشارقة وليس بغريب زيارة الاعيان من رجال السياسة والعلماء وكان عنوان الكلمة التى القاها سماحة الشيخ ابو الحسن امام الشيخ سلطان حاكم الشارقة «نعم الامير على باب الفقير.. وبئس الفقير على باب الامير».

يتبع لندوة العلماء.. المجمع العلمى الاسلامى لطبع الكتب والنشرات وكذلك مجلة البعث الاسلامى التى لم تتوقف منذ تاسيسها، صادفت زيارتى لندوة العلماء الاجازة التى تبدا عادة من شهر رمضان ولكن كما قيل (المبانى تدل على المعانى) كل مافيها يسر والحمد لله، ودعت ندوة العلماء ومن لكنو الى دهلى بالطائرة لاتوجه فى اليوم الثانى الى مدينة ديوبند.

ديوبند.. لاشىء فى ديوبند غير دار العلوم (الجامعة الاسلامية) التى تاسست عام ١٢٨٣هـ ولا شىء فى ديوبند غير مكتبة تضم مائة وخمسين الف كتاب باللغات العربية والفارسية والاردية والانجليزية وفيها ١٤٠٠ طالب ومع هذا حسدها الحساد ورموها بسهم ادمى القلوب وابكى العيون واثخن فى الجراح.

قامت فئة ضد فئة وظهر حزبان متضادان حزب يريد تطويرها وتنظيمها وحزب يريد تجميدها وركودها على ما كانت عليه من غير زيادة ولا نقص.

يدير الجامعة الشيخ احمد الطيب منذ خمسين سنة ويبلغ من العمر سبعا وثمانين، هذا الخلاف ادى الى اقصائه عن الجامعة واطلاق الجامعة فى ساحتها واخراج الطلاب من الفصول والمساكن بقوة البوليس، ولم يحدث هذا فى تاريخ المدرسة العربية ولا يليق بعلماء فضلاء كلهم يحب الخير للجامعة ولكنه قضاء وقدر، عادت الامور الى مجاريها وحل مجلس الشورى كل مشكلة غير مشكلة الاموال وتسليمها للادارة الجديدة

الشيخ مرغوب الرحمن. تحدثت فى صالة عامة لعدد كبير من الطلاب احتفوا بضيف عربى، ومما قلته ان مشاعر المسلمين متحدة وان الخلاف فى الوسيلة لايعنى الخلاف فى الهدف ولكل امرىء ما نوى، وجامعة ديوبند صرح علمى شهير وكل ما كان الجوهر غالى الثمن كثر النزاع عليه كل يريده لنفسه فهى جوهرة ثمينة كل يريدها لنفسه.

بهذا الحديث ينتهى ما كتبته تحت عنوان حصاد الجولات لعام ١٤٠٢هـ والمتمثل فى ثمان دول هى: تايلند - ماليزيا - استراليا - سنغافورا - تنزانيا - الحبشة - كينيا - الهند.

هذا والله ولى التوفيق.